" العـــودة "

استيقظت فزعًا إثر حلمٍ، تراءت فيه أمي تناشدني العودة، فقد ألم بأبي خطبٌ ما

لم تفلح كل محاولاتي المتلاحقة في الإتصال بهما هاتفيًا، فحزمت أمري بالسفر مودّعًا زوجتي وطفلاىّ الباكين في عجالة.

عشرون عامًا مضت وقطار بلدتنا الريفية لم يتغير فيه قلامة ظفر، شتان الفارق بينه وبين الحداثة التي واكبتها قطارات الأقاليم.

سويعاتٍ قليلة استغرقها أنين عجلاته الحديدية، ليصل بي إلى محطتي المنشودة، ترجّلت منه وبرفقتي بعض جيراني وأصدقائي، ممن أبت ضمائرهم الطيبة أن يتركوني أواجه هذا المصاب وحدي.

الطريق إلى بلدتنا اختفت معالمه ! فلا أثر للمعدّية التي كانت فيما مضى تقلّنا للجانب الآخر من النهر، الفاصل بين المحطة وتراب بلدتنا، والمساحة الزراعية الصغيرة التي كنا نجتازها في دقائق، أحيط بها بسورٍ حديدي ضخم، ومن خلفه تبدو أغصان أشجار الموز الكثيفة تحجب الرؤية.

بادر أحد مرافقيّ بالسؤال، فقادنا الرجل إلى نهاية السور، وأشار لنا إلى الكوبري الصغير لعبوره، ثم الإرتداد خلفًا متّبعين الطريق الترابي بمحاذاة النهر. أتسمّع متعجبًا همهمات أناسٍ نمر بهم، يتساءل أحدهم من هذا؟ فيجيبه الآخر

" هذا فلان ابن فلان "

يمصمصان شفتيهما، ثم يعودان إلى ما كانا عليه، عندما كنت

صغيرًا، خطبٌ كهذا الذي أنا فيه الآن، يتبعه كل من تقع عليه عينه أو يتنامى إلى أذنيه خبره، فيدخل البلدة متبوعًا بكل من رآه أو سمع به
هاهى بلدتنا يبدو لأعيننا مدخلها الوحيد، ونفرٌ قليل ينتظرون اقترابنا منهم، وما إن صرنا قبالتهم، تولّوا قيادتنا إلى طريقٍ آخرما زلت أذكره جيدًا، فلطالما سلكته صغيرًا، زائرًا لأبي وأمي ومترحمًا عليهما.

* * *